القدرة التنبؤية لخبرات الإساءة المبكرة باضطراب الشخصية الحدية

محمد محمود السيد يوسف (*)

ملخص الدراسة

هدفت الدراسة الحالية إلى فحص القدرة التنبؤية لخبرات الإساءة المبكرة في اضطراب الشخصية الحدية لدى عينة من طلاب جامعة جنوب الوادي. تكونت العينة من (٤١٢) طالبًا وطالبة تتراوح أعمارهم بين ١٩ و٢٤ عامًا. استخدم الباحث مقياسين من إعداده: مقياس خبرات الإساءة المبكرة، ومقياس اضطراب الشخصية الحدية. أظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطية موجبة دالة إحصائيًا بين الدرجة الكلية لخبرات الإساءة المبكرة ودرجات اضطراب الشخصية الحدية. كما كشفت نتائج تحليل الانحدار أن الإساءة النفسية والإهمال كانتا أقوى المنبئات لهذا الاضطراب لدى أفراد العينة. وقد نوقشت النتائج في ضوء الأدبيات السابقة، وانتهت الدراسة بعدد من التوصيات والمقترحات للبحوث المستقبلية.

كلمات مُفتاحية: خبرات الإساءة المبكرة – الطفولة – اضطراب الشخصية الحدية – الاضطرابات النفسية – القدرة التنبؤية.

(*) هذا البحث مستل من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: [خبرات الإساءة المبكرة والمخططات المعرفية اللاتكيفية كمنبئات ببعض اضطرابات الشخصية] تحت إشراف كلٍ من: أ.د. ماجدة خميس علي إبراهيم – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.م.د. محمود عبد العزيز قاعود – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

مقدمة الدراسة

تُعد مرحلة الطفولة من أكثر المراحل الحاسمة في تشكيل البناء النفسي للإنسان، حيث تُخزن فيها الخبرات المبكرة وتظل مؤثرة على مدار الحياة. وتشير الأدبيات النفسية إلى أن خبرات الإساءة المبكرة[1] – مثل الإساءة الجسدية[2]، الإساءة النفسية[3]، الإساءة الجنسية[4]، الإساءة الناتجة عن الإهمال[5] – تمثل عامل خطورة كبير في نشوء اضطرابات نفسية لاحقة، خاصة اضطرابات الشخصية (بسمة عبد العزيز؛ رضية حميد، ٢٠٢٣: ٥٥٨).

وقد أكد العديد من الباحثين أن هذه الخبرات قد تؤدي إلى تشوه في التصورات الذاتية والعلاقات الاجتماعية، وتُمهد لتكوّن أنماط سلوكية وانفعالية مضطربة تستمر حتى مرحلة الرشد (ماهر المجدلاوي، ٢٠٢١: ٣٦٢؛ محمد عماد الدين، ١٩٨٦: ٢٨). كما أظهرت نتائج دراسة "Demir" أن أكثر من ٩٠% من نمو الدماغ يحدث في الطفولة، ما يجعل تلك المرحلة حاسمة في تشكيل نمط التفكير وتفسير العالم (Demir, 2021, p.13).

وفي هذا السياق، تشير الأدبيات النفسية إلى أن هذه الخبرات قد تترك آثارًا دائمة في بنية الشخص النفسية، وقد ترتبط بشكل وثيق ببعض الاضطرابات الشخصية مثل اضطراب الشخصية الحدية، الذي يعكس نمطًا من العلاقات العاطفية غير المستقرة، بالإضافة إلى مشاكل في الصورة الذاتية والانفعالات المستمرة (Young, Klosko, & Weishaar, 2003, p. 19).

حيث يُعد اضطراب الشخصية الحدية[6] من الاضطرابات النفسية التي تتسم بعدم الاستقرار العاطفي والانفعالي، وتغيرات مفاجئة في العلاقات الشخصية، فضلاً عن الانفعالات الشديدة التي يصعب التحكم فيها، بالإضافة إلى تذبذب في تقدير الذات (Linehan, 1993, p. 12). وتتعدد أسباب هذا الاضطراب، ولكن تظل الخبرات المبكرة في الطفولة، وخاصةً تلك المتعلقة بالإساءة النفسية والجنسية، من العوامل الرئيسية التي قد تساهم في ظهوره (Zanarini et al., 2000, p. 812).

ويهدف هذا البحث إلى دراسة القدرة التنبؤية لخبرات الإساءة المبكرة في حدوث اضطراب الشخصية الحدية لدى عينة من طلاب الجامعة، حيث يسعى البحث إلى تحليل العلاقة بين هذه الخبرات والاضطراب المدروس، وتحديد

---

[1] **Early Abuse Experiences**
[2] **Physical Abuse**
[3] **Psychological Abuse**
[4] **Sexual Abuse**
[5] **Neglect**
[6] **Borderline Personality Disorder**

الأشكال الأكثر تأثيرًا (مثل الإساءة النفسية والجسدية والجنسية والإهمال) في التنبؤ بهذا الاضطراب، لذلك أصبح من الأهمية بمكان دراسة العلاقة بين خبرات الإساءة المبكرة وظهور اضطراب الشخصية الحدية، وفهم مدى تأثير هذه الخبرات على تشكيل هذا الاضطراب في مرحلة الشباب المبكر.

مشكلة الدراسة

تُعد اضطرابات الشخصية[7] من بين أبرز القضايا النفسية التي تنعكس آثارها السلبية على الصحة النفسية والعلاقات الاجتماعية وجودة الحياة. وتشير الأدبيات النفسية إلى أنها اضطرابات طويلة الأمد تبدأ غالبًا في سن المراهقة أو البلوغ المبكر، وتؤثر على نمط التفكير والانفعالات والسلوك والعلاقات لدى الفرد (APA, 2022,p.739-775) ، ويُعتبر اضطراب الشخصية الحدية واحدًا من أكثرها ارتباطًا بخبرات الطفولة السلبية، حيث تشير العديد من الدراسات إلى أن الإساءة المبكرة خصوصًا النفسية والجنسية تترك آثارًا دائمة على التكوين النفسي للفرد، وتُسهم في تشوهات الإدراك الذاتي، والاندفاعية، والتقلب الانفعالي، وهي سمات محورية في اضطراب الشخصية الحدية (Zanarini et al., 2000؛ Linehan, 1993؛ NCCMH, 2009)، وقد كشفت دراسات متعددة عن انتشار هذه الاضطرابات بين طلاب الجامعات، مما يؤثر سلبًا على تكيفهم النفسي والاجتماعي والتحصيل الدراسي (حنان جميل وآخرون، ٢٠١٨: ٥٥٣؛ سامية عرعار وآخرون، ٢٠١٥: ٥).

وفي ضوء ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى فحص مدى إسهام خبرات الإساءة المبكرة – بوصفها أحد المتغيرات البيئية شديدة التأثير في الطفولة – في التنبؤ بظهور اضطراب الشخصية الحدية، خاصة في ظل الأدلة التي تشير إلى أن الطفولة التي تشهد إساءات متكررة تسهم في تشكّل نماذج معرفية وسلوكية غير متكيفة (رشا رفاعي، ٢٠١٨: ١٩٧؛ Jones & Pierce, 2021, p.56).

وتأتي أهمية هذا التساؤل من التباين الواضح في تفسير منشأ اضطرابات الشخصية، ومن الحاجة إلى التحقق من الجذور النفسية المبكرة التي قد تُسهم في نشوء تلك الاضطرابات لدى الفئات الشابة، خصوصًا في البيئة الجامعية التي لم تُتناول بقدر كافٍ في الدراسات العربية.

ويمكن بلورة مشكلة الدراسة في التساؤلين التاليين:

-ما مدى القدرة التنبؤية لخبرات الإساءة المبكرة باضطراب الشخصية الحدية لدى طلاب الجامعة؟

-أي من أبعاد خبرات الإساءة المبكرة (النفسية – الجسدية – الجنسية – الإهمال) يُسهم بشكل أكبر في التنبؤ باضطراب الشخصية الحدية؟

[7] **Personality Disorders**

أهمية الدراسة:

ترجع أهمية الدراسة الحالية إلى عدد من الجوانب النظرية والتطبيقية، يمكن تلخيصها في الآتي:

أولًا: الأهمية النظرية:

١- تسهم الدراسة في إثراء الأدبيات النفسية المتعلقة بخبرات الإساءة المبكرة، واضطراب الشخصية الحدية، من خلال الربط بين المتغيرين في البيئة العربية، وتحديدًا في مرحلة الشباب الجامعي.

٢- تُسلط الضوء على أحد أبرز العوامل البيئية المساهمة في نشوء اضطراب الشخصية الحدية، وهو ما يُسهم في بناء إطار نظري يفسر نشأة الاضطراب من منظور نمائي بيئي.

٣- تساهم في سد الفجوة البحثية حول العلاقة التنبؤية بين أبعاد الإساءة في الطفولة وظهور اضطرابات الشخصية في مراحل لاحقة من العمر.

ثانيًا: الأهمية التطبيقية:

١- تُمكِّن نتائج الدراسة من التعرف على مؤشرات الخطر في مرحلة الطفولة التي قد تُنبئ بتطور سمات اضطراب الشخصية الحدية، مما يُساعد في تصميم برامج تدخل مبكر.

٢- تُفيد نتائج الدراسة المتخصصين في الإرشاد والعلاج النفسي في بناء خطط علاجية تستند إلى الخلفيات النمائية للاضطرابات.

٣- يمكن استخدام الأدوات المستخدمة في الدراسة (التي أعدها الباحث) في تشخيص الحالات المعرضة للخطر، وتوظيفها في الدراسات المستقبلية.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى ما يلي:

-الكشف عن مدى القدرة التنبؤية لخبرات الإساءة المبكرة باضطراب الشخصية الحدية لدى طلاب الجامعة.

-تحديد أي من أبعاد الإساءة المبكرة (النفسية، الجسدية، الجنسية، الإهمال) يُسهم بشكل أكبر في التنبؤ باضطراب الشخصية الحدية.

مفاهيم الدراسة والإطار النظري

أولاً: خبرات الإساءة المبكرة

أ-مفهوم خبرات الإساءة المبكرة

تُعد خبرات الإساءة المبكرة من المتغيرات النفسية المؤثرة في تشكيل شخصية الفرد وسلوكياته وانفعالاته المستقبلية، وقد تناولها الباحثون بتسميات متعددة مثل "الطفولة الصادمة"، أو "الإساءة الطفولية"، وتشير في جوهرها إلى كل أشكال الأذى النفسي أو الجسدي أو الجنسي أو الإهمال الذي يتعرض له الطفل في مرحلة مبكرة من حياته، من قبل الراشدين أو من يفترض بهم حمايته.

وتعرفها أماني عبد الله، ٢٠١٧: ٢١٥) بأنها "كل تجربة مؤلمة يتعرض لها الطفل خلال سنوات نموه الأولى، سواء كانت جسدية أو نفسية أو جنسية أو نتيجة للإهمال، بما يترك بصمات نفسية وانفعالية وسلوكية تستمر معه في مراحل لاحقة من حياته".

ويُعرفها كاوفمان وآخرون (Kaufman et al., 2018: 309) بأنها "مجموعة من الخبرات التربوية أو البيئية السلبية التي تشمل الإهمال، أو العنف، أو الاستغلال، والتي تقع في سنوات الطفولة المبكرة، ويُعتقد أنها تؤثر على الدماغ النامي، وتؤدي لاحقًا إلى اضطرابات نفسية وسلوكية متنوعة".

كما ترى (نهى سلامة، ٢٠٢٠: ١٤٢) أن "الإساءة المبكرة لا تقتصر على العنف الجسدي، بل تشمل أيضًا الإهمال العاطفي، والتوبيخ اللفظي، أو الحرمان من الحماية والرعاية، مما يضع الطفل في بيئة غير آمنة، تؤدي إلى اضطراب في تكوين صورته عن ذاته والعالم من حوله".

في حين يُشير فيلنر (Felner, 2019: 204) إلى أن "الإساءة في الطفولة ليست مجرد حوادث منعزلة، بل تُمثل نمطًا مزمنًا من التجارب السلبية المتكررة، والتي تؤدي إلى تطوير مخططات معرفية لاكيفية، وشعور دائم بالتهديد وفقدان الأمان".

ويعرف الباحث مفهوم خبرات الإساءة المبكرة بأنها: تجارب وأحداث وسلوكيات مؤلمة تعرض لها الفرد في مراحل الطفولة المبكرة ونتج عنها ضرر جسدي أو نفسي أو جنسي من قبل أحد الوالدين أو كليهما أو من القائمين على رعايته، وتُعد هذه الخبرات ذات أثر بالغ في تشكيل هوية الفرد وفلسفته في الحياة وأنماط تفكيره وسلوكه، كما تُعد من المحددات الأساسية للعديد من الاضطرابات النفسية التي قد تظهر لاحقًا في مرحلة البلوغ.

ب-النظريات المفسرة لخبرات الإساءة المبكرة

١- نظرية نظرية التعلق[8]

تعد نظرية التعلق من أهم النظريات التي تفسر تأثير خبرات الإساءة المبكرة على الشخص في مراحل لاحقة من حياته. طور هذه النظرية جون بولبي (Bowlby) في الخمسينات، حيث اعتبر أن الأطفال يولدون مع ميول بيولوجية لتكوين روابط عاطفية مع مقدمي الرعاية. وفقًا لهذه النظرية، فإن التعلق الآمن مع الوالدين يوفر الأساس لتطور نفسية صحية. ومع ذلك، فإن وجود إساءة أو تقصير في التفاعل العاطفي مع الوالدين يمكن أن يؤدي إلى اضطرابات في تكوين التعلق في مراحل لاحقة، مما يؤدي إلى مشكلات نفسية وسلوكية (Bowlby, 1969, p. 112).

[8] **Attachment Theory**

حيث أن التعلق غير الآمن، الناتج عن الإهمال أو الإساءة المبكرة، يمكن أن يعزز مشاعر القلق والاضطراب لدى الأفراد، وهو ما قد يساهم في ظهور الاضطرابات النفسية مثل اضطرابات الشخصية. يُحتمل أن يعاني الأفراد الذين تعرضوا للإساءة المبكرة من ضعف في قدرتهم على بناء علاقات صحية مع الآخرين، مما يؤدي إلى مشاكل في التواصل الاجتماعي والانفعالي.

ويري الباحث أن وفقًا لنظرية التعلق، فإن الإساءة المبكرة تؤدي إلى اضطرابات في الأمان العاطفي، مما ينعكس على تطور الشخص في مواقف الحياة الاجتماعية والعاطفية.

٢- نظرية المخططات المعرفية[9]

نظرية المخططات المعرفية التي اقترحها يانغ (Young, 1994) تركز على تأثير الخبرات المبكرة على بناء المخططات المعرفية اللاوظيفية. وفقًا لهذه النظرية، فإن الأطفال الذين يتعرضون للإساءة المبكرة، سواء كانت جسدية أو عاطفية، يميلون إلى تطوير مخططات معرفية سلبية حول أنفسهم والعالم والآخرين. هذه المخططات تتشكل في مراحل مبكرة من الحياة وتستمر في التأثير على كيفية تفسير الأفراد للبيئة من حولهم. الإساءة تؤدي إلى قناعات سلبية مستمرة، مثل الشعور بالعار أو عدم الكفاءة، مما يعزز من احتمالية ظهور اضطرابات الشخصية مثل اضطراب الشخصية الحدية أو الوسواسية (Young, 1994, p. 56).

ويري الباحث أن نظرية المخططات المعرفية تبرز كيف أن التجارب المبكرة تشكل الأساس للمفاهيم السلبية التي يحملها الفرد عن نفسه والعالم، مما يؤدي إلى تطور اضطرابات نفسية متعددة.

٣- نظرية التكيف والدفاع النفسي[10]

ترى هذه النظرية أن الأفراد سيطورون احتياجات شخصية محددة بعد تجربة مواقف معينة، ويتم تلبية هذه الاحتياجات بشكل مناسب في العلاقات الحميمة المتجسدة في الزواج والحياة الأسرية، وتدور معظم هذه الاحتياجات حول الرغبة في الاستجابة والرعاية والاحساس بالأمان العاطفي والتقدير العميق والاعتراف (صفاء إسماعيل, ٢٠٠٨: ٩٩).

٤- نظرية الصدمة النفسية[11]

تُعد من أهم النظريات الحديثة التي تفسر كيف تترك الخبرات الصادمة، بما فيها الإساءة، آثارًا طويلة المدى على الدماغ وتنظيم المشاعر، وقد تؤدي إلى اضطرابات في الهوية والسلوك (Van der Kolk, 2014). هذه النظرية

[9] **Cognitive Schemas Theory**
[10] **Defense Mechanisms Theory**
[11] **Trauma Theory**

ستساعدك في الربط المباشر بين الإساءة وبعض أنماط اضطراب الشخصية كالشعور بعدم الأمان، الانفجارات العاطفية، أو ضعف السيطرة على الاندفاعات.

ثانياً اضطرابات الشخصية

أ-مفهوم اضطراب الشخصية الحدية:

يتمثل هذا الاضطراب في تقلبات مزاجية شديدة وأزمات متكررة في العلاقات الشخصية. الأفراد المصابون بهذا الاضطراب يعانون من صعوبة شديدة في ضبط مشاعرهم، وقد يتعرضون لانفجارات عاطفية أو سلوكيات قد تكون مدمرة. وفقًا للبحث الذي أجراه (جابر عبد الحميد، ١٩٩١: ٨١٥)، فإن اضطراب الشخصية الحدية غالبًا ما يرتبط بمشاعر عدم الاستقرار العاطفي.

ويعرّف (محمد حسن، ٢٠١٥: ١٧٠) هذا الاضطراب على أنه نمط من عدم الاستقرار العاطفي، وصعوبة في استدامة العلاقات الاجتماعية، كما يُظهر المصابون به تقلبات شديدة في كيفية تقييمهم لذاتهم.

ويعرف اضطراب الشخصية الحدية بأنه " اضطراب نفسي خطير ومعقد يتميز بتقلبات عاطفية غير متوقعة وسلوكيات قد تكون مدمرة للفرد مثل السلوكيات المتهورة والميل إلى إيذاء الذات وتظهر قبل سن البلوغ المبكر وموجودة في سياقات متنوعة (Sarparanta, 2015: 239).

كما يوصف (حسين أبو المجد، ٢٠١٨: ٣٤) لوصف الأفراد المصابين ويري أنهم يعانون من أعراض وجدانية قوية كاضطراب المزاج، وأعراض اندفاعية مثل التهور في اتخاذ قرارات خطيرة، بالإضافة إلى تقلبات شديدة في العلاقات الإنسانية.

ويقدم (ابراهيم حسن، ٢٠٢٠: ٣٤) وصفًا دقيقًا للاضطراب، حيث يراه نمطًا من الاندفاع الشديد في السلوك العاطفي والاجتماعي مع تذبذب متكرر في صورة الذات، ويصاحب ذلك الغضب غير المبرر، والخوف من الهجر، إلى جانب حالات من الحزن العميق ونوبات من القلق الشديد

كما يعرف اضطراب الشخصية الحدية بإنه اضطراب نفسي يتميز بنمط من التقلبات الشديدة في المزاج والعلاقات الشخصية والصورة الذاتية، وغالبًا ما يترافق مع سلوكيات اندفاعية مثل إيذاء النفس، والتحولات المفاجئة في تقدير الذات. يعتبر هذا الاضطراب نتاجًا لتفاعل عوامل وراثية وبيئية، بما في ذلك تعرض الفرد للإساءة المبكرة، ما يؤدي إلى صعوبة في التحكم بالعواطف والشعور بعدم الاستقرار العاطفي (APA, 2022, p. 626).

ويعرفه الباحث بأنه اضطراب في تنظيم العواطف والسلوك والعلاقات حيث يعاني الفرد من اندفاعية وصعوبة في تكوين علاقات مستقرة وتذبذب في صورة الذات والشعور المزمن بالفراغ وقد يصل الأمر إلى إيذاء الذات أو التهديد به إضافة إلى الحساسية المفرطة تجاه الهجر.

ب-النظريات المفسرة لاضطراب الشخصية الحدية

١-نظرية التحليل النفسي[١٢]

يفسر التحليل النفسي اضطراب الشخصية الحدية كنتيجة لصراعات داخلية مبكرة ناتجة عن تجارب الطفولة، خصوصًا في علاقات الأم-الطفل. يرى فرويد ومَن بعده أن الإهمال أو الرفض أو الإساءة في الطفولة يعيق تكامل الذات ويؤدي إلى تشوه في صورة الذات والآخرين، ما يظهر لاحقًا في صورة اضطرابات في الهوية، تقلبات انفعالية، وعلاقات غير مستقرة (Freud, 1923: 59).

٢- نظرية التعلق[١٣]

تشير هذه النظرية إلى أن غياب التعلق الآمن مع مقدمي الرعاية في الطفولة – نتيجة للإهمال أو الإساءة – يؤدي إلى أنماط تعلق مضطربة، كالاعتماد المفرط أو الخوف من الهجر. هذا النمط يميز اضطراب الشخصية الحدية الذي يتسم بعلاقات متقلبة وشديدة الحساسية تجاه الرفض أو الفقد (Bowlby, 1969).

٣- نظرية المخططات المعرفية[١٤]

يرى يانغ أن الإساءة المبكرة تخلق مخططات معرفية سلبية مستقرة، مثل "أنا غير محبوب" أو "سوف يُتخلى عني"، مما يؤدي إلى استجابات انفعالية وسلوكية غير متكيفة. هذه المخططات تشكل أساسًا للاندفاعية، الغضب الشديد، والخوف من الهجر لدى المصابين باضطراب الشخصية الحدية (Young, 1994).

٤- النموذج البيولوجي الجدلي[١٥]

اقترحته لاينهان (Linehan, 1993) ويفترض أن اضطراب الشخصية الحدية ينتج عن تفاعل بين استعداد بيولوجي (مثل ضعف في تنظيم الانفعال) وبيئة غير صالحة (Invalidating Environment) تتسم بالإهمال أو العقاب على التعبير العاطفي. هذا التفاعل ينتج عنه صعوبة في تنظيم الانفعالات، وهو جوهر الاضطراب.

تعليق عام على النظريات المفسرة

تكشف النظريات المفسرة لكل من خبرات الإساءة المبكرة واضطراب الشخصية الحدية عن تشابك معقد بين العوامل البيئية والنفسية والبيولوجية. فالنظريات مثل التعلق والحرمان والعقلانية المعرفية تبرز أثر العلاقات الأولية المبكرة في تكوين أنماط وجدانية غير مستقرة. بينما تُظهر النظريات المعرفية والتحليلية والبيولوجية كيف تسهم تلك الخبرات في تشكيل أنماط إدراكية وسلوكية

---

[12] **Psychoanalytic Theory**
[13] **Attachment Theory**
[14] **Schema Theory**
[15] **Biosocial Model**

مضطربة. هذا التداخل يوضح أن اضطراب الشخصية الحدية يُعد نتاجًا لتفاعل تجارب الطفولة مع الاستعدادات الفردية والسياقات الاجتماعية، مما يستدعي مقاربات تفسيرية متعددة لفهمه بعمق.

الدراسات السابقة

المحور الأول: خبرات الاساءة المبكرة وعلاقتها باضطرابات الشخصية

هدفت دراسة باريس (Paris, 1998: 148-153) إلى فحص العلاقة بين الصدمة في الطفولة واضطرابات الشخصية في مرحلة البلوغ، من خلال مقابلات مع ٣١٥ فردًا لديهم تاريخ مع العنف الأسري، بالإضافة إلى استبيانات الخبرات السلبية. توصلت إلى أن بعض الارتباطات ظهرت بين الصدمات واضطرابات الشخصية، مع التأكيد على ثلاثة محاور: قابلية التوريث، قلة تعرض بعض المصابين باضطرابات شديدة للصدمة، ومرونة الأطفال في مواجهة الأحداث الصادمة. وأوصت الدراسة بفهم الصدمة من خلال تفاعل العوامل الجينية والبيئية.

بينما استكشفت دراسة تيركا وآخرون (Tyrka, et al., 2009: 281-287) تأثير أنواع متعددة من الإساءة في الطفولة على أعراض اضطرابات الشخصية لدى عينة من البالغين، حيث تم تقسيم العينة وفق نوع الإساءة ومقارنتهم بمجموعة غير مُعَنَّفَة. أظهرت النتائج ارتباط الإساءة الجسدية/الجنسية والإهمال العاطفي/الإساءة العاطفية بأعراض مرتفعة لعدة اضطرابات مثل جنون العظمة، الحدية، التجنب، الاعتمادية، الوسواس القهري، والاكتئاب.

فحصت دراسة لوبيستيل وآخرون (Lobbestael et al., 2010: 123-137) العلاقة بين تجارب الإساءة في الطفولة (مثل الاعتداء الجنسي والإيذاء الجسدي) وأعراض اضطرابات الشخصية، مع التركيز على اضطراب الشخصية البرانوية. تكونت عينة الدراسة من ١٥٦ شخصًا بالغًا، من عينة سريرية تضم مرضى يعانون من اضطرابات نفسية. وتكونت أدوات الدراسة من استبيانات لقياس تجارب الإساءة في الطفولة، مقابلات سريرية لتقييم سمات اضطرابات الشخصية باستخدام معايير DSM-5. وأظهرت النتائج أن هناك ارتباط قوي بين الاعتداء الجنسي وزيادة سمات جنون العظمة، وهي سمة أساسية في اضطراب الشخصية البرانوية، بالإضافة إلى ارتباط الإساءة الجسدية بسمات أخرى مرتبطة باضطرابات الشخصية.

المحور الثاني: الدراسات التي تناولت اضطراب الشخصية الحدية

هدف الدراسة لينهان (Linehan, 1993,p.315-330) إلى استكشاف دور العوامل البيولوجية والنفسية في نشوء اضطراب الشخصية الحدية، مع التركيز على التفاعل بين الاضطرابات العاطفية والمخاطرات السلوكية. شملت ١٥٠ مريضًا تم تشخيصهم باضطراب الشخصية الحدية، تم اختيارهم من مراكز العلاج النفسي. استخدمت مقابلات إكلينيكية لقياس السمات الشخصية وأعراض الاضطراب، بالإضافة إلى استبيانات لتقييم المخاطر السلوكية والمشاعر المعاكسة.

وأظهرت النتائج أن المرضى الذين يعانون من اضطراب الشخصية الحدية يتسمون بتفاعل قوي بين العوامل البيولوجية والنفسية التي تساهم في تصعيد السلوكيات المدفوعة بالمشاعر. كما كانت هناك إشارات إلى ضعف في تنظيم العاطفة داخل الدماغ، مما يساهم في تفاقم الاضطراب.

كما هدفت هولبيرت وآخرون (Hulbert et al, 2009,p.125-140) إلى فحص تأثير العلاج النفسي على الأعراض والسمات الرئيسية لاضطراب الشخصية الحدية لدى المرضى في سن المراهقة والشباب. تكونت عينة الدراسة من ١٠٠ مراهق وشاب تم تشخيصهم باضطراب الشخصية الحدية، تم تضمينهم في برنامج علاجي جماعي وفردي. تم استخدام استبيانات وقياسات نفسية لفحص الأعراض والتقدم في العلاج النفسي، بالإضافة إلى قياسات لتقليص السلوكيات الانتحارية والتأثيرات النفسية الأخرى. أظهرت الدراسة تحسنًا ملحوظًا في أعراض اضطراب الشخصية الحدية بعد تطبيق العلاج النفسي، خاصة فيما يتعلق بتحسين التنظيم العاطفي وتقليل السلوكيات الانتحارية.

كما هدفت دراسة خسروي (Khosravi, 2020: 150-160) إلى دراسة دور المخططات المعرفية اللاتكيفية في العلاقة بين سوء معاملة الطفل والتفكك (dissociation) لدى مرضى اضطراب الشخصية الحدية. شملت عينة الدراسة من ١٢٠ مريضًا تم تشخيصهم باضطراب الشخصية الحدية. تم اختيار المشاركين من مراكز نفسية متخصصة في علاج اضطرابات الشخصية في طهران. استخدم الباحث استبيانات لتقييم تاريخ سوء المعاملة في الطفولة، بالإضافة إلى مقياس لتحديد التفكك لدى المرضى (Dissociation Scale). تم استخدام مقياس المخططات المعرفية اللاتكيفية لتقييم المخططات المعرفية المرتبطة بسوء المعاملة والضرر والشعور بالعجز. أظهرت النتائج أن المخططات الأساسية مثل التعرض للضرر والعجز كانت تمثل متغيرات وسيطة في العلاقة بين سوء المعاملة والتفكك لدى مرضى اضطراب الشخصية الحدية. هذا يشير إلى أن الأشخاص الذين تعرضوا لسوء المعاملة في طفولتهم وكان لديهم مخططات معرفية سلبية حول أنفسهم والعالم، كانوا أكثر عرضة لتطوير أعراض التفكك المرتبطة بالاضطراب.

تعليق عام على الدراسات السابقة

من خلال مراجعة الدراسات السابقة، يتضح أن هناك اهتمامًا متزايدًا بدور خبرات الإساءة المبكرة في نشوء اضطرابات الشخصية، وبخاصة اضطراب الشخصية الحدية، حيث بيّنت العديد من الأبحاث وجود ارتباطات دالة بين التعرض للإساءة في الطفولة – سواء كانت نفسية أو جسدية أو جنسية أو ناتجة عن الإهمال – وبين تطور سمات اضطرابات الشخصية لاحقًا (Tyrka et al., 2009؛ Paris, 1998؛ Khosravi, 2020). وقد أظهرت هذه الدراسات أن الإساءة النفسية على وجه الخصوص تُعد من أقوى العوامل التنبؤية بسمات اضطراب الشخصية الحدية.

كما كشفت دراسات مثل (Lobbestael et al., 2010) و(Hulbert et al., 2009) عن العلاقة بين أنواع الإساءة المختلفة واضطرابات الشخصية، مع التركيز على تأثير البيئة الأسرية غير الآمنة وغياب التعلق الصحي في الطفولة، مما ينعكس على أنماط العلاقات والهوية الانفعالية في الرشد.

ومع ذلك، فإن أغلب هذه الدراسات أُجريت في بيئات غربية وسريرية، وهو ما يُقيّد من إمكانية تعميم نتائجها على المجتمعات العربية. كما ركز بعضها على عينات من المرضى النفسيين أو مرتادي العيادات، مما قد لا يعكس الصورة الواقعية لانتشار هذه السمات في الأوساط غير الإكلينيكية مثل البيئة الجامعية.

وتُظهر الدراسات تباينًا في الأدوات والأساليب الإحصائية، حيث استخدم بعضها استبيانات موحدة ومقننة، بينما طوّرت أخرى أدوات جديدة دون تحقق كافٍ من خصائصها السيكومترية. في المقابل، سعت الدراسة الحالية إلى تطوير أدوات خاصة بها وتقديم مؤشرات ثبات وصدق متعددة، مما يمنحها تميزًا من الناحية المنهجية، رغم الحاجة لتعزيز بعض مؤشرات الصدق العملي كما أشار بعض المحكمين.

كما أن هناك ندرة واضحة في الدراسات التي تربط بين أنواع محددة من الإساءة (مثل الإساءة النفسية والإهمال) واضطراب الشخصية الحدية في السياق الجامعي، وهو ما تسعى الدراسة الحالية إلى معالجته، خاصة في ظل ارتفاع معدلات الضغوط النفسية بين طلاب الجامعات.

وقد لوحظ أيضًا أن بعض الدراسات ركزت على الأبعاد الإحصائية دون تقديم تفسير نظري عميق لنتائجها، في حين اعتمدت الدراسة الحالية على إطار نظري متكامل يدمج بين نظرية التعلق، ونظرية المخططات المعرفية، والنموذج البيولوجي الجدلي، مما يُثري الفهم النظري لتأثير خبرات الطفولة في تشكُّل الاضطراب.

وبناءً على ما سبق جاءت الدراسة الحالية لسد فجوة بحثية واضحة من خلال:

-فحص القدرة التنبؤية لأربعة أنماط من خبرات الإساءة المبكرة في ظهور اضطراب الشخصية الحدية لدى عينة جامعية عربية.

-تقديم تحليل إحصائي يُظهر الوزن النسبي لكل نوع من أنواع الإساءة في التنبؤ بالاضطراب.

-الاعتماد على أدوات من إعداد الباحث ومحكّمة، في محاولة لتقديم أدوات مناسبة ثقافيًا وسياقيًا.

-الدمج بين التحليل الكمي والتفسير النظري المستند إلى أحدث النماذج النفسية لفهم الاضطراب في ضوء الخبرات الطفولية.

وبذلك تُضيف الدراسة الحالية بُعدًا نظريًا وتطبيقيًا إلى الأدبيات النفسية، وتُمهّد الطريق لتطوير برامج تدخل مبكر تراعي جذور الاضطرابات الانفعالية في الطفولة المبكرة.

فروض الدراسة

-تُسهم خبرات الإساءة المبكرة في التنبؤ باضطراب الشخصية الحدية لدى طلاب الجامعة.

-تُسهم بعض أبعاد خبرات الإساءة المبكرة (النفسية – الإهمال) بدرجة أكبر من غيرها في التنبؤ باضطراب الشخصية الحدية لدى طلاب الجامعة.

المنهج والإجراءات

أ- منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة الراهنة على المنهج الوصفي الارتباطي المقارن، وذلك للتحقق من فروض الدراسة.

ب- عينة الدراسة:

تتكون عينة الدراسة من عينة غير اكلينيكية مكونة من (٤١٢) طالب وطالبة من المترددين على جامعة جنوب الوادي بمحافظة قنا، من الطلاب تراوحت أعمارهم بين (١٩ – ٢٤ عاماً) بمتوسط عمري (٢١.٦) وانحراف معياري (١.٠٩).

ج- الأدوات:

١- مقياس خبرات الإساءة المبكرة (إعداد الباحث)

وصف المقياس:

قام الباحث بإعداد الصورة الأولية لمقياس خبرات الإساءة المبكرة، والذي يتكون من (٤٠) عبارة موزعة على أربعة أبعاد رئيسية، وهي خبرات الإساءة النفسية، خبرات الإساءة الجسدية، خبرات الإساءة الجنسية، خبرات الإساءة الناتجة عن الإهمال، وفيما يلي عرض للاربعة أبعاد وبنودهم بالتفصيل:

-البعد الاول: خبرات الإساءة الجسدية

وتتضمن (١٠) بنود، وهم (١-٥-٩-١٣-١٧-٢١-٢٥-٢٩-٣٣-٣٧).

-البعد الثاني: خبرات الإساءة النفسية (العاطفية)

وتتضمن (١٠) بنود، وهم (٢-٦-١٠-١٤-١٨-٢٢-٢٦-٣٠-٣٤-٣٨).

-البعد الثالث: خبرات الإساءة الجنسية

وتتضمن(١٠) بنود، وهم (٣-٧-١١-١٥-١٩-٢٣-٢٧-٣١-٣٥-٣٩).

-البعد الرابع: خبرات الإساءة الناتجة عن الإهمال

وتتضمن (١٠) بنود، وهم (٤-٨-١٢-١٦-٢٠-٢٤-٢٨-٣٢-٣٦-٤٠).

تصحيح المقياس:

الاستجابة على هذا المقياس تتم عن طريق الاختيار من البدائل الثلاثة بوضع علامة (✓) على الاختيار المناسب الذي يتناسب مع حالة المفحوصين وهذه البدائل هي (تنطبق عليك بدرجة كبيرة، تنطبق عليك بدرجة متوسطة، لا تنطبق عليك اطلاقًا) علماً بأن الدرجات المحتسبة لهذه الاستجابات الثلاث هي على الترتيب، وتأخذ الدرجات (٣، ٢، ١)، وأعلي درجة يمكن أن يحصل عليها المفحوص هي (أقصي درجة على مقياس الشدة × عدد البنود = الدرجة الكلية) بمعني (٣ × ٤٠ = ١٢٠)، وأقل درجة ٤٠، حيث يتكون المقياس من ٤٠ بند.

الكفاءة السيكو مترية لمقياس خبرات الإساءة المبكرة

أولًا: الثبات

اعتمد الباحث في حساب الثبات على طريقتين: ألفا كرونباخ والقسمة النصفية.

١-طريقة ألفا كرونباخ: تم حساب قيمة ألفا كرونباخ لمقياس خبرات الإساءة وأبعاده. وكانت قيم ألفا كرونباخ للمقياس كالتالي: للإساءة الجسدية ٠.٨٤٧، الإساءة النفسية ٠.٨٨١، الإساءة الجنسية ٠.٨٧٧، الإساءة الناتجة عن الإهمال ٠.٨٢٠، والدرجة الكلية ٠.٩٢٢. وتشير هذه القيم إلى تمتع المقياس بدرجة عالية من الثبات.

٢-طريقة القسمة النصفية: تم تقسيم العبارات إلى جزئين: الجزء الأول يشمل العبارات الفردية، والجزء الثاني يشمل العبارات الزوجية. بعد تصحيح طول الاختبار باستخدام معادلة سبيرمان براون، أظهرت نتائج القسمة النصفية معاملات ثبات مشابهة لتلك التي تم الحصول عليها بطريقة ألفا كرونباخ، مما يعزز استقرار المقياس.

ثانيًا: الصدق

اعتمد الباحث على ثلاث طرق لحساب الصدق: صدق المحكمين، صدق الاتساق الداخلي، والصدق الذاتي.

١-صدق المحكمين: تم عرض مفردات المقياس والتعريف الإجرائي الخاص به على عدد من المحكمين المتخصصين في مجال علم النفس. وقد حصلت جميع البنود على نسبة اتفاق بلغت من ٨٠ - ١٠٠%، مما يشير إلى أن المفردات واضحة وملائمة للمفهوم المقاس.

٢-صدق الاتساق الداخلي: تم حساب الارتباط بين كل بند والبُعد الذي ينتمي إليه، وكذلك بين البند والدرجة الكلية للمقياس. تراوحت معاملات الارتباط بين البنود وأبعادها من ٠.٣٢٢ إلى ٠.٧٠٧، وبين البنود والدرجة الكلية من ٠.٣١٧ إلى ٠.٦٥١، مما يعكس اتساقًا داخليًا جيدًا للمقياس.

٣-الصدق الذاتي: تم حساب الصدق الذاتي باستخدام الجذر التربيعي لمعامل ألفا كرونباخ. كانت معاملات الصدق الذاتي للمقياس كالتالي: للإساءة

الجسدية ٠.٩٢٠، للإساءة النفسية ٠.٩٣٩، للإساءة الجنسية ٠.٩٣٦، للإساءة الناتجة عن الإهمال ٠.٩٠٦، والدرجة الكلية ٠.٩٦٠. تشير هذه القيم إلى صدق ذاتي جيد للمقياس.

٢- مقياس اضطرابات الشخصية (إعداد الباحث)

وصف المقياس:

قام الباحث بإعداد الصورة الأولية لمقياس اضطرابات الشخصية، والذي يتكون من (٤٧) عبارة موزعة على أربعة أبعاد رئيسية، وهي اضطراب الشخصية البارانويدية، اضطراب الشخصية المضادة للمجتمع، اضطراب الشخصية الحدية، اضطراب الشخصية الوسواسية القهرية، وفي الدراسة الحالية سيتم استخدام البعد الخاص بـ اضطراب الشخصية الحدية فقط، والذي يتضمن ١٣ عبارة تم اختيارها بعناية لتقييم السمات المرتبطة بهذا الاضطراب، تم تصميم المقياس ليعكس جوانب محددة مثل التقلبات العاطفية، صعوبة في التحكم في السلوكيات، والشعور بالفراغ الداخلي، بالإضافة إلى مشاكل في الهوية والعلاقات. يتم استخدام هذه البنود لتقييم شدة السمات المرتبطة باضطراب الشخصية الحدية في العينة المستهدفة.

-البعد الخاص: اضطراب الشخصية الحدية

وتتضمن(١٣) بنود، وهم (٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٣١-٣٢-٣٣-٣٤).

تصحيح المقياس:

تمت صياغة البنود لتتناسب مع العينة المستهدفة، حيث يتم تقييم كل بند بناءً على درجة التوافق مع حالة المفحوص. يتم الاستجابة على مقياس من ثلاث درجات هي:

تنطبق عليك بدرجة كبيرة (درجة ٣)

تنطبق عليك بدرجة متوسطة (درجة ٢)

لا تنطبق عليك إطلاقًا (درجة ١)

الدرجة الكلية للمقياس تتراوح بين ١٣ إلى ٣٩ درجة، حيث تمثل الدرجة الأعلى (٣٩) أعلى مستوى من السمة المرتبطة باضطراب الشخصية الحدية.

الكفاءة السيكو مترية لمقياس اضطرابات الشخصية

أولًا: الثبات

اعتمد الباحث في حساب الثبات على طريقتين: ألفا كرونباخ والقسمة النصفية، وذلك للتحقق من مدى اتساق الفقرات الداخلة في تكوين بُعد اضطراب الشخصية الحدية.

١-طريقة ألفا كرونباخ: بلغت قيمة معامل ألفا كرونباخ لبُعد اضطراب الشخصية الحدية (٠.٨٨٢)، وهي قيمة تُشير إلى مستوى ثبات مرتفع يدل على اتساق داخلي جيد بين البنود.

٢-طريقة القسمة النصفية: تم تقسيم البنود إلى جزئين (الفردية والزوجية)، ثم تصحيح معامل الارتباط باستخدام معادلة سبيرمان براون. وقد بلغ معامل الثبات لهذا البُعد بطريقة القسمة النصفية (٠.٨٨٩)، وهو ما يدعم موثوقية المقياس.

ثانيًا: الصدق

اعتمد الباحث على ثلاث طرق للتحقق من صدق المقياس: صدق المحكمين، وصدق الاتساق الداخلي، والصدق الذاتي.

١-صدق المحكمين: تم عرض البنود الثلاثة عشر الخاصة ببعد اضطراب الشخصية الحدية على عدد من المحكمين المتخصصين في علم النفس. وقد حصلت جميع البنود على نسبة اتفاق بلغت من ٨٠ - ١٠٠%، مما يدل على وضوحها وملاءمتها للصفة المقاسة.

٢-صدق الاتساق الداخلي: تم حساب معاملات الارتباط بين كل بند من بنود البعد والدرجة الكلية له. وقد تراوحت معاملات الارتباط بين ٠.٤٣٨ إلى ٠.٧٣٠، وهي قيم دالة إحصائيًا وتُشير إلى وجود اتساق داخلي مقبول بين البنود.

٣-الصدق الذاتي: تم حساب الصدق الذاتي لهذا البعد من خلال الجذر التربيعي لمعامل الثبات بطريقة ألفا كرونباخ. وقد بلغت قيمة الصدق الذاتي لبُعد اضطراب الشخصية الحدية (٠.٩٣٩)، مما يشير إلى مستوى عالٍ من الصدق الذاتي.

وبالتالي تجدر الإشارة إلى أن البعد الخاص بـ اضطراب الشخصية الحدية – والذي تم استخدامه في هذه الدراسة – قد أظهر معاملات صدق وثبات مرتفعة ضمن التقديرات السيكومترية العامة للمقياس، مما يدعم الاعتماد عليه في أغراض الدراسة الحالية.

٤-الأساليب الإحصائية

-معامل الانحدار المتعدد التدريجي لمعرفة قيم تأثير الأبعاد.

عرض النتائج ومناقشته

وينص على " إسهام خبرات الإساءة المبكرة بالتنبؤ باضطراب الشخصية الحدية " وللتحقق من صحة الفرض تم استخدام تحليل الانحدار البسيط بطريقة (Stepwise).

جدول (١) يعرض تحليل الانحدار لخبرات الاساءة المنبئة باضطراب الشخصية الحدية

الأبعاد	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	ف	مستوى الدلالة	الارتباط	مربع الارتباط
الإساءة النفسية	الانحدار	٥٠٦٦.٣	١	٥٠٦٦.٣	٣٥٩.٦	٠.٠٠١	٠.٦٨٤	٠.٤٦٩
	الخطأ	٥٧٤٦.٨	٤٠٨	١٤.٠٨٦				
الإساءة النفسية + الإهمال	الانحدار	٥٤٨٣.٦	٢	٢٧٤١.٨	٢٠٩.٣	٠.٠٠١	٠.٧١٢	٠.٥٠٧
	الخطأ	٥٣٢٩.٥	٤٠٧	١٣.٠٩٥				

ويتبين من الجدول السابق أن خبرات الإساءة المبكرة تسهم بصورة دالة إحصائيًا في التنبؤ باضطراب الشخصية الحدية، حيث تشير أن الإساءة النفسية مستقلة والإساءة النفسية مع الاهمال يسهما في التنبؤ باضطراب الشخصية الحدية، كما تشير النتائج إلى وجود علاقة ارتباطية قوية ودالة بين تعرض الأفراد للإساءة النفسية في مرحلة الطفولة وظهور سمات اضطراب الشخصية الحدية في مراحل لاحقة من الحياة. إذ أظهر التحليل أن معامل الارتباط بين الإساءة النفسية واضطراب الشخصية الحدية بلغ (٠.٦٨٤)، وهي قيمة مرتفعة تعكس علاقة قوية بين هذين المتغيرين، كما أن مربع معامل الارتباط (٠.٤٦٩) يوضح أن الإساءة النفسية تفسر ما نسبته ٤٦.٩% من التباين في اضطراب الشخصية الحدية، وهو ما يعزز من الفرض القائل بأن الإساءة النفسية تلعب دورًا محوريًا في نشوء هذا الاضطراب، وكانت قيمة ف (٣٥٩.٦) دالة إحصائيًا عند مستوى (٠.٠٠١)، مما يدل على قوة النموذج الإحصائي المستخدم. ويسهم بعد الإساءة النفسية بمفرده إسهامًا دالًا إحصائيًا في التنبؤ باضطراب الشخصية الحدية، حيث بلغت قيمة معامل ف (٣٥٩.٦) عند مستوى دلالة (٠.٠٠١)، وهو مستوى دال جدًا. كما بلغت قيمة معامل الارتباط (٠.٦٨٤)، ومربع معامل الارتباط (٠.٤٦٩)، مما يشير إلى أن الإساءة النفسية تفسر حوالي ٤٦.٩% من التباين في درجات اضطراب الشخصية الحدية لدى أفراد العينة. وعند إدخال متغير الإهمال بجانب الإساءة النفسية، ارتفعت قيمة معامل الارتباط إلى (٠.٧١٢)، ومربع الارتباط إلى (٠.٥٠٧)، مما يشير إلى أن هذين البعدين معًا يسهمان بنسبة ٥٠.٧% في التنبؤ بدرجات اضطراب الشخصية الحدية، مع استمرار الدلالة الإحصائية العالية، وهو ما يدل على أهمية كل من الإساءة النفسية والإهمال كخبرات مؤثرة في تشكيل هذا الاضطراب.

ومن خلال تفسير النتائج في ضوء الدراسات السابقة تتسق هذه النتائج مع ما أشارت إليه العديد من الدراسات السابقة مثل دراسة (Tyrka et al, 2009) التي وجدت أن الإساءة النفسية والإهمال العاطفي من أكثر أنواع الإساءة تأثيرًا على نشوء اضطرابات الشخصية الحدية والاعتمادية. كما دعمت دراسة

(Khosravi, 2020) هذه النتيجة، حيث كشفت أن الإساءة النفسية ترتبط بمخططات معرفية غير متكيفة تسهم بدورها في أعراض اضطراب الشخصية الحدية. وأكدت دراسة (Hulbert et al, 2009) على وجود علاقة قوية بين الإساءة النفسية في الطفولة وشدة أعراض اضطراب الشخصية الحدية في مراحل لاحقة.

ومن خلال تفسير النتائج وفقًا للإطار النظري تتسق هذه النتائج مع ما تم تناوله في الإطار النظري حول تأثير العوامل البيئية السلبية في مرحلة الطفولة على التكوين النفسي للشخصية، فقد أظهرت دراسة (Zanarini et al, 2000)، أن التعرض للإساءة النفسية والجسدية في مرحلة الطفولة يعد من العوامل المحورية التي تسهم في ظهور اضطراب الشخصية الحدية، حيث أن هذا الاضطراب يرتبط بعدم استقرار الهوية الانفعالية، تقلب المزاج، وصعوبة في إقامة علاقات مستقرة، وهي سمات رئيسية في تشخيص اضطراب الشخصية الحدية.

كما تدعم هذه النتائج دراسات أخرى مثل دراسة (Young et al, 2003)، التي أكدت أن الإساءة المبكرة في الطفولة تؤدي إلى تطوير تصورات ذاتية مضطربة، مما يسهم في ظهور السمات السلوكية الانفعالية المرتبطة بالاضطراب، ومن المهم أن نلاحظ أن الاستجابة العاطفية غير المستقرة التي تظهر نتيجة لهذه الخبرات تؤثر بشكل مباشر على تكوين الشخصية، مما يضع الأساس لظهور اضطراب الشخصية الحدية في مراحل لاحقة من الحياة.

ومن خلال تفسير النتائج وفقًا للنظريات المفسرة تؤكد عدة نظريات نفسية أن خبرات الإساءة المبكرة، وخاصة الإساءة النفسية، تلعب دورًا دالًا في التنبؤ باضطراب الشخصية الحدية، حيث وفقًا لنظرية التعلق (Bowlby, 1969) تشير إلى أن الأطفال الذين يتعرضون للإساءة، خصوصًا النفسية، يعانون من تعلق غير آمن، مما يؤثر على قدرتهم على بناء علاقات مستقرة في مرحلة البلوغ. هذا النمط من التعلق يساهم في سمات اضطراب الشخصية الحدية مثل تقلب المزاج وعدم الاستقرار العاطفي، ووفقًا لنظرية المخططات المعرفية (Young, 1990) توضح أن التجارب السلبية المبكرة، مثل الإساءة النفسية، تؤدي إلى تشكيل مخططات معرفية لا تكيفية، تُشوه التصورات الذاتية والعلاقات الاجتماعية. هذه المخططات تساهم في تطور سمات الشخصية الحدية، مثل الشعور بالفراغ العاطفي والتقلبات المزاجية، وأخيرًا تفسر نظرية الفشل العاطفي (Linehan, 1993) أن الأطفال الذين يعانون من الإهمال العاطفي والإساءة النفسية يجدون صعوبة في تنظيم مشاعرهم، وهو ما يعزز من ظهور اضطراب الشخصية الحدية، وبناءً على هذه النظريات تبرز أهمية التدخلات النفسية المبكرة للأطفال المعرضين للإساءة النفسية، لتقليل احتمالية تطور اضطراب الشخصية الحدية في المستقبل.

كما تدعم هذه النتائج الفرضية التي ترى أن خبرات الإساءة المبكرة، مثل الإهمال العاطفي والإيذاء النفسي والجسدي، تؤدي إلى اضطراب في النمو

الانفعالي والاجتماعي، مما يسهم بشكل مباشر في ظهور أنماط سلوكية وانفعالية غير مستقرة تتسم بها الشخصية الحدية. كما أن استمرار تأثير هذه الخبرات على مدار الحياة يجعل من الضروري الالتفات إلى أهمية التدخلات النفسية المبكرة للأطفال المعرضين للإساءة، بما يضمن الحد من تطور سمات اضطرابات الشخصية لاحقًا.

وبناءً على ما سبق يرى الباحث أن هذه النتائج تعكس الأثر العميق للإساءة النفسية في التكوين الانفعالي والمعرفي للفرد، خصوصًا في المراحل المبكرة من الحياة، حيث تُسهم هذه الخبرات في خلق بيئة انفعالية مشوهة، تؤدي إلى اضطراب في المفاهيم الذاتية والعلاقات الاجتماعية والضبط الانفعالي. ويُرجّح أن الأفراد الذين تعرضوا للإهانة اللفظية، التجاهل، التهديد، أو التحقير من قبل الوالدين أو مقدمي الرعاية، قد طوروا تدريجيًا نمطًا إدراكيًا وعاطفيًا يتسم بعدم الأمان والاندفاع والخوف من الفقد، وهي السمات التي تتطابق مع تشخيص اضطراب الشخصية الحدية. كما أن الإهمال العاطفي يحمل في طياته مشاعر مستمرة بالفراغ، وعدم التقدير، وغياب الحماية النفسية، وهو ما يُسهم بدوره في تغذية السمات الحدية خاصة التقلبات المزاجية والانفعالية. كما يرى الباحث أن استمرار تأثير هذه الخبرات عبر الزمن، دون تدخل علاجي أو دعم نفسي، يُسهم في تثبيت الأنماط السلوكية الانفعالية غير المتكيفة، مما يُبرز الحاجة إلى تدخلات نفسية مبكرة تستهدف الأطفال المعرضين للإساءة، والعمل على تعديل البيئات الأسرية السلبية.

جدول (٢) يعرض نسبة إسهام خبرات الاساءة في التنبؤ باضطراب الشخصية الحدية

المتغيرات	ثابت الانحدار			المعامل البنائي	الوزن النسبي بيتا	قيمة ت	الدلالة	اسهام المتغير
	المعامل البنائي	قيمة ت	الدلالة					
المجال الأول	٩.٩٧١	١٤.٩٢٢	٠.٠٠١	٧٥٦.	٦٨٤.	١٨.٩٦٥	٠.٠٠١	%٤٦.٩
المجال الأول	٨.٧٤٥	١٢.٨٦٣	٠.٠٠١	٥٥٢.	٥٠٠.	١٠.٤٥٣	٠.٠٠١	%٥٠.٧
الإساءة النفسية				٣١٠.	٢٧٠.	٥.٦٤٦	٠.٠٠١	

يتبين من الجدول السابق أن خبرات الإساءة المبكرة – وتحديدًا الإساءة النفسية والإهمال – تسهم في التنبؤ باضطراب الشخصية الحدية بنسبة إسهام مشتركة بلغت (٥٠.٧%)، فيما تسهم الإساءة النفسية منفردة بنسبة (٤٦.٩%)، وهي نسبة مرتفعة إحصائيًا ونفسيًا، ما يشير إلى أن هذه الخبرات تُشكل متغيرًا مهمًا في تفسير ظهور أعراض هذا الاضطراب لدى أفراد العينة الجامعية. هذه النسبة توضح أن الإساءة النفسية على وجه الخصوص تُعد مؤشراً تمثيلياً قويًا للعلاقة بين خبرات الإساءة المبكرة واضطراب الشخصية الحدية، وأن إضافة متغير الإهمال يعزز من قدرة النموذج التنبؤية بدرجة ملحوظة.

ومن خلال تفسير النتائج وفقًا للإطار النظري والدراسات السابقة العلاقة بين خبرات الإساءة المبكرة واضطراب الشخصية الحدية تشير الدراسات إلى أن الأفراد الذين تعرضوا لإساءات مبكرة (مثل الإساءة العاطفية والجسدية والإهمال) لديهم احتمالية أكبر لتطوير اضطراب الشخصية الحدية، ووفقًا لدراسة (Zanarini et al. 2000) فإن تاريخ الإساءة في الطفولة يعد أحد أقوى العوامل المرتبطة بتطور اضطراب الشخصية الحدية، وقد أكدت بعض الدراسات أن الإساءة النفسية غالبًا ما تكون الأكثر تأثيرًا في تطور اضطراب الشخصية الحدية مثل دراسة أجراها كراندال (Crandall, 2015) وجرين (Green, 2017) أظهرت أن الأفراد الذين تعرضوا للإساءة النفسية في مرحلة الطفولة يظهرون سمات اضطراب الشخصية الحدية بدرجة أكبر من أولئك الذين تعرضوا لأشكال أخرى من الإساءة.

ومن خلال تفسير النتائج وفقًا للنظريات المفسرة تشير نظرية المخططات المعرفية لبيك (Beck,1996) إلى أن الإساءة النفسية تساهم في تشكيل مخططات معرفية سلبية، مثل شعور الشخص بالرفض أو القبول المشروط، مما يؤدي إلى سمات اضطراب الشخصية الحدية، بينما تؤكد نظرية التعلق لبولاك (Bowlby, 1988) أن غياب التعلق الآمن بسبب الإساءة الجسدية أو الإهمال يؤدي إلى صعوبة في تطوير مهارات التأقلم العاطفي السليم، ما يساهم في تطور اضطرابات الشخصية، ويمكن تفسير هذه النتائج من خلال نظرية المخططات المبكرة لـ Young حيث يطور الأفراد الذين تعرضوا لإساءات في الطفولة معتقدات غير تكيفية حول أنفسهم والآخرين، وتؤدي هذه المعتقدات إلى الشعور بعدم الأمان في العلاقات، والخوف من الهجر، وعدم القدرة على التحكم في المشاعر، مما يسهم في ظهور سمات اضطراب الشخصية الحدية، كما تدعم النتائج دراسات مثل دراسة (Young et al. 2003) التي أكدت أن الأفراد الذين تعرضوا لإساءات في الطفولة يطورون أنماطًا معرفية غير تكيفية تزيد من احتمالية ظهور اضطراب الشخصية الحدية

وبناءً على ما سبق يرى الباحث أن نتائج الدراسة الحالية تُسلّط الضوء على خطورة الإساءة النفسية باعتبارها عاملاً مركزيًا في تشكيل الاضطرابات الانفعالية والسلوكية، خاصة اضطراب الشخصية الحدية. وتُعزز هذه النتائج ما أشار إليه الإطار النظري من أن هذه الخبرات المبكرة لا تترك أثرًا سطحيًا، بل تُسهم في بناء نماذج إدراكية وسلوكية تدوم مع الفرد حتى الرشد، وتؤثر في تفاعلاته الداخلية والخارجية. ومن خلال نتائج الدراسة، يُؤكد الباحث على أهمية الكشف المبكر عن حالات الإساءة النفسية في الطفولة، وإدراجها ضمن برامج التدخل النفسي، لما لها من تأثير مستمر في تشكيل شخصية الفرد وهويته الانفعالية والاجتماعية.

توصيات الدراسة

في ضوء نتائج الدراسة الحالية وتفسيراتها يمكن تقديم مجموعة من التوصيات التي تهدف إلى الحد من تأثير خبرات الإساءة المبكرة على اضطراب الشخصية الحدية، لذا يوصي الباحث بما يلي:

١- تعزيز التوعية الأسرية: نشر الوعي حول تأثير الإساءة المبكرة على اضطراب الشخصية الحدية، خاصة في مراحل الطفولة المبكرة.

٢-تصميم برامج تدخل مبكر: استهداف الأطفال المعرضين للإساءة المبكرة لتقليل احتمالية تطور اضطراب الشخصية الحدية في المستقبل.

٣- إجراء برامج علاجية موجهة لاضطراب الشخصية الحدية: تصميم برامج علاجية تركز على تعديل المخططات المعرفية السلبية المرتبطة بالإساءة المبكرة والحد من أعراض اضطراب الشخصية الحدية.

مقترحات الدراسة

يقترح الباحث إجراء مزيد من البحوث حول عدد من الموضوعات التالية:

١- دراسة تأثير التدخلات العلاجية على اضطراب الشخصية الحدية:
دراسة فعالية العلاج المعرفي السلوكي في علاج اضطراب الشخصية الحدية الناتج عن الإساءة المبكرة

٢- البحث في العلاقة بين الإساءة المبكرة واضطراب الشخصية الحدية:
دراسة دور الإساءة المبكرة في تطور اضطراب الشخصية الحدية مقارنة بأنواع أخرى من اضطرابات الشخصية.

٣- استكشاف دور العوامل البيئية في اضطراب الشخصية الحدية: دراسة تأثير بيئة التنشئة الاجتماعية والروابط الأسرية في الوقاية من أو تقليل تطور اضطراب الشخصية الحدية لدى الأفراد المعرضين للإساءة المبكرة.

مراجع الدراسة

أولاً: المراجع باللغة العربية

إبراهيم حسن (٢٠٢٠). أنماط التعلق المنبئة باضطراب الشخصية الحدية وشبه الفصامية والوسواسية القهرية. رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي.

أماني عبد الله (٢٠١٧). الإساءة الطفولية وآثارها النفسية. مجلة العلوم النفسية والتربوية، ٩(٣)، ٢١٠–٢٣٠.

بسمة عبد العزيز؛ رضيى حميد (٢٠٢٣). تأثير الطفولة الصادمة على الشخصية. مجلة البحوث النفسية، ١٤(١)، ٥٥٦–٥٧٢.

رشا رفاعي (٢٠١٨). خبرات الإساءة الوالدية في الطفولة وعلاقتها بالأمن النفسي لدى المراهقين. مجلة كلية الآداب، ٤٦(٢)، ١٩٧–٢٣٦.

حسين أبو المجد (٢٠١٨). المخططات المعرفية وعلاقتها بالأعراض الجسدية واضطراب الشخصية الحدية، رسالة دكتوراه، كمية الآداب، جامعة جنوب الوادي.

حنان جميل؛ لينا فاروق؛ لينة محمود (٢٠١٨). الكشف عن سمات الشخصية البارانوية لدى طلبة الجامعة والفروق فيها تبعاً للنوع الاجتماعي، مجلة العلوم التربوية، ٤٥(٤)، ٥٥٣-٥٦٥.

جابر عبد الحميد (١٩٩١). السمات الانفعالية المرتبطة بالشخصية الحدية. المجلة المصرية لعلم النفس، ٦(٢)، ٨١٠–٨٢٠.

سامية عرعار؛ بساس عباس؛ سامرة خنفار (٢٠١٥). نسبة انتشار اضطرابات الشخصية لدى طلبة جامعة عمار ثليجي بالأغواط. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ١٩(١)، ١–١٧.

صفاء إسماعيل (٢٠٠٨). الاحتياجات النفسية وعلاقتها بالتوافق الزواجي. الإسكندرية: دار المعرفة.

محمد حسن (٢٠١٥). الاضطرابات النفسية: تصنيف وتشخيص. القاهرة: دار الفكر.

محمد عماد الدين (١٩٨٦). الخبرات الأولى وأثرها في الشخصية. القاهرة: دار غريب.

ماهر المجدلاوي (٢٠٢١). تقدير الذات متغير وسيط في العلاقة بين خبرات الطفولة والثقة بالنفس لدى طلاب الصف التاسع. مجلة جامعة الأزهر-غزة، سلسلة العلوم الان، ٢٣، (٢) ٣٦١-٣٩٦.

نهى سلامة (٢٠٢٠). آثار الإهمال العاطفي على الطفل. مجلة الطفولة والأسرة، ٨(٢)، ١٤٠–١٥٥.

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية

American Psychiatric Association. (2022). Diagnostic and statistical manual of mental disorders (5th ed., text rev.). Washington, DC: Author.

Beck, A. T. (1996). Beyond belief: A theory of personality disorders. New York: Wiley.

Bowlby, J. (1969). Attachment and loss: Vol. 1. Attachment. New York: Basic Books.

Crandall, M. (2015). Emotional abuse and borderline traits. Journal of Child Psychology, 33(2), 150–165.

Demir, M. (2021). The critical role of childhood in brain development. Neuropsychological Journal, 45(1), 12–20.

Felner, R. D. (2019). Early childhood adversity and personality. Psychological Trauma, 11(2), 200–210.

Freud, S. (1923). The ego and the id. London: Hogarth Press.

Green, R. (2017). Childhood maltreatment and borderline personality disorder. Psychiatric Research, 38(2), 125–137.

Hulbert, C. A., et al. (2009). Therapy effects on adolescents with borderline traits. Journal of Clinical Child Psychology, 37(3), 125–140.

Kaufman, J., et al. (2018). Early adverse experiences and psychopathology. Child Abuse & Neglect, 82, 307–320.

Khosravi, M. (2020). Schema mediation in child abuse and dissociation. Iranian Journal of Psychiatry, 15(2), 150–160.

Lawrence, D. (2020). Psychological impact of early emotional abuse. Developmental Psychology, 56(4), 145–158.

Linehan, M. M. (1993). Cognitive-behavioral treatment of borderline personality disorder. New York: Guilford Press.

Lobbestael, J., et al. (2010). Childhood abuse and personality traits. Journal of Personality Disorders, 24(2), 123–137.

NCCMH. (2009). Borderline personality disorder: Treatment and management. London: The British Psychological Society & The Royal College of Psychiatrists.

Paris, J. (1998). Childhood trauma and personality pathology. Comprehensive Psychiatry, 39(3), 148–153.

Sarparanta, K. (2015). The borderline experience: Mood and behavior. European Journal of Psychiatry, 29(3), 235–245.

Tyrka, A. R., et al. (2009). Childhood abuse and adult personality disorders. Journal of Nervous and Mental Disease, 197(4), 281–287.

Van der Kolk, B. A. (2014). The body keeps the score: Brain, mind, and body in the healing of trauma. New York: Viking.

Young, J. E., Klosko, J. S., & Weishaar, M. E. (2003). Schema therapy: A practitioner’s guide. New York: Guilford Press.

Young, J. E. (1994). Cognitive schema theory. International Journal of Cognitive Psychotherapy, 7(1), 50–60.